من مواقف الصحابة
رضي الله عنهم
(١)

سعد بن معاذ

«اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة»

رجل من الأعراب

صدق الله فصدقه

تأليف: حسين بن عودة العوايشة

دار ابن عفان للنشر والتوزيع

قصَّة سَعْد بن مُعاذ مع بني قريظة

وقصَّة أعرابي صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

من مواقف الصحابة
(رضي الله عنهم)
(١)

سَعْدُ بنُ مُعاذ

«اللهمَّ لا تُمِتْني حتَّى تُقِرَّ عَيْني مِن قُرَيْظة»

رَجُلٌ مِن الأعْراب

«صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ»

تأليف
حسين بن عودة العوايشة

دار ابن عفَّان للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة لدار ابن عفان

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

الناشر

دار ابن عفان للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الخُبر - المغربية

شارع أبو حورية تقاطع الشارع العاشر

ص.ب ٢٠٧٤٥ رمز بريدي ٣١٩٥٢ الثقبة ت: ٨٩٨٧٥٠٦

المقدِّمة

إنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومَن يضلِلْ؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله.

﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا اتَّقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه ولا تَموتُنَّ إلَّا وأنتُم مُسلِمونَ﴾[1].

﴿يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا ربَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ واحِدةٍ وخَلَقَ مِنها زَوْجَها وبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كثيراً ونِساءً

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٣.

واتَّقوا اللهَ الَّذي تَسَاءَلونَ بِهِ والأَرْحامَ إنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكم رَقيباً﴾[1].

﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُم أَعْمالَكم ويَغْفِرْ لَكُم ذُنوبَكم ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسولَهُ فقدْ فازَ فَوْزاً عَظيماً﴾[2].

وبعد:

كلمات أكتبُها لأذكِّر بها نفسي وإخواني وأخواتي في مشارق الأرض ومغاربها.

أذكِّر بجيل ينبغي أن تضمَّه الأفئدة وتحتضنه القلوب؛ لنظلَّ معه ويظلَّ معنا؛ في صلاتنا، وصيامنا، وقيامنا، وجهادنا، وأخلاقنا، وسلوكنا.

اقتداؤنا بهم يجلب لنا السيادة، والتخلُّق بأخلاقهم يأتي لنا بالقيادة، وحبُّنا لهم يأتي بالسعادة.

وا حزناه! وا ألماه! إننا ما ابتُلينا بهٰذا الليل البهيم

---

(١) سورة النساء: آية ١.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٧٠ ـ ٧١.

المـدلهمّ؛ إلا بتنكُّبنـا عن منهـاجهم وطريقتهم، فألِفْنا الـذلَّ والمهـانة، وأصبح العزُّ صعب المنال، وتداعت علينا الأمم كما تتداعى الأكَلَة على قصعتها، وطمع فينا الـطامعـون، وتنازع علينا الكفَرَة والمشركون، وتسابقوا لاستعبادنا وغزونا ونهْب خيراتنا وإشعال لهيب الفتن بين أبناء أمَّتنا.

إنـه لا يُنْجينـا ممَّـا نحن فيه من بلاء؛ إلاَّ أن نعود لكتـاب ربِّنـا (سبحـانـه)، وسنَّة نبيِّنا ﷺ، على منهاج الصحابة الكرام (رضي الله عنهم).

لقد توعَّد الله (تعالى) مَن يتَّبع غير سبيلهم بالتخلِّي عن هدايتهم، واستحقاقهم عذاب جهنَّم وساءت مصيراً.

قال (سبحانه وتعالى): ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى ويَتَّبِعْ غَيْرَ سَبيلِ المُؤمِنينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وسَاءَتْ مَصيراً﴾[1].

---

(١) سورة النساء: آية ١١٥.

ذلك الجيل الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «خير الناس قرني، ثمَّ الذين يلونَهم، ثمَّ الذين يلونهم»[1].

إنَّها الفرقة التي ينْجو مَن يَسير على نهجِها ويهلِكُ مَن يتنكَّب عنها.

قال ﷺ: «ألا إنَّ مَن قَبلَكُم مِن أهل الكتاب افتَرَقوا على ثِنتَيْنِ وسبعين ملَّةً، وإنَّ هذه الملَّة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثِنْتان وسبعونَ في النَّار، وواحدةٌ في الجنَّة، وهي الجماعة»[2].

وفي رواية: «ما أنا عليه وأصحابي»[3].

---

(١) عن «صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة، (رقم ٢٥٣٣).

(٢) أخرجه: أبو داود، والدارمي، وأحمد، وغيرهم، وهو في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٢٠٤).

(٣) رواه الترمذي من رواية عبدالله بن عمرو (رضي الله عنه)، وفيه عبدالرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف؛ كما في «المشكاة» (١٧١).

قال شيخنا الألباني (حفظه الله تعالى) في «السلسلة الصحيحة» (٢٠٤ ـ التحقيق الثاني):

«يشهد لها طريق أخرى من حديث أنس بن مالك عند العقيلي =

ذلك الجيل الذي قال فيه ابن عمر (رضي الله عنهما): «لا تسبُّوا أصحاب محمَّد؛ فلَمُقام أحدهم ساعة؛ خيرٌ مِن عملِ أحدكم عمره»[1].

من أجل هذا وغيره؛ رأيتُ أن أكتب في سيرة أصحاب النبي ﷺ؛ لعلَّها تَحْفِزُني وإخواني للتأسِّي بهم والسَّير على منهاجهم، ولتدفعنا إلى العمل الدائب المستمرّ.

وعسانا بذلك نجني ثمار حبِّهم؛ عملاً صالحاً، وسلوكاً فاضلاً، وأُخوَّةً صادقةً، ومحبَّةً نقيَّةً، ومصيراً مُبْهِجاً.

= والطبراني في «الأوسط» و«الصغير»، فهذه الزيادة بهذه الطريق ترتقي وتُصبح حسنة، وقد احتجَّ بها الآجريُّ في «الغرباء» (ص ٢٥ ـ دار الخلفاء).

(١) رجال إسناده رجال الشيخين؛ غير نُسير بن دعلوق، وقد وثَّقه جمع من الأئمة؛ كابن معين والحافظ ابن حجر (رحمهما الله تعالى) وغيرهما.

وانظر كتاب «السنة» (رقم ١٠٠٦) لشيخنا الألباني (حفظه الله تعالى).

أسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم،
وأن يرفع به درجتي يوم القيامة؛ إنه على كلِّ شيءٍ قدير.

* * *

قصة سعد بن معاذ مع بني قريظة

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «خرجتُ يوم الخندق أقفو[1] آثار الناس».

قالت: «فسمعْتُ وئيد الأرض ورائي؛ يعني: حسَّ الأرض».

قالت: «فالْتفتُّ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجَنَّة[2]».

قالت: «فجلستُ إلى الأرض، فمرَّ سعدٌ وعليه درعٌ من حديد قد خرَجَتْ منها أطرافه، فأنا أتخوَّف على

---

(١) أي: أتبع.

(٢) أي: التُّرس.

أطراف سعد».

قالت: «فمرَّ وهو يرتجز ويقول:

لَبِّثْ قَليلاً يُدْرِكِ الهَيْجَـا حَمَـلْ

مَا أَحْسَنَ المَوْتَ إذا حَانَ الأَجَلْ»

قالت: «فقمتُ، فاقتحمتُ حديقة، فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيهم عمـر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه سبغة له؛ يعني: مغفراً[1]، فقال عمر: ما جاء بك؟ لعمري والله إنك لجريئة! وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوّز؟».

قالت: «فمـا زال يلومني حتى تمنَّيت أنَّ الأرض انشقَّت لي ساعتئذ فدخَلْتُ فيها»!

قالت: «فرفع الرجل السبغةَ عن وجهه، فإذا طلحة ابن عبيدالله، فقال: يا عمر! إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوُّز أو الفرار إلا إلى الله (عزَّ وجلَّ)؟».

قالت: «ويرمي سعداً رجل من المشركين من قريش

---

(١) زرد يُنسج على قدر الرأس، يُلبس تحت القلنسوة.

ـ يقال له: ابن العرقة ـ بسهم له، فقال له: خذها وأنا ابن العرقة، فأصاب أَكْحَلَه[1]، فقطَعَه، فدعا اللهَ (عزَّ وجلَّ) سعدٌ، فقال: اللهمَّ لا تُمِتني حتى تُقِرَّ عيني من قريظة».

قالت: «وكانوا حلفاء مواليه في الجاهلية».

قالت: «فرَقَأَ كَلْمُه ـ أي: جُرْحه ـ، وبعث الله (عزَّ وجلَّ) الريح على المشركين، فكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويّاً عزيزاً، فلحق أبو سفيان ومَن معه بتهامة، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة، فتحصَّنوا في صياصيهم[2]، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فوضع السلاح، وأمر بقبَّة من أدم[3]، فضربت على سعد في المسجد».

---

(١) في «لسان العرب»: «... عِرق في اليد يُفْصَد، وقيل: الأكحل: عِرْق الحياة، يُدعى نهْر البَدن، وفي كل عضو منه شعبة، له اسم على حِدة، فإذا قُطع في اليد؛ لم يرقأ الدم، وفي الحديث: أن سعداً رُمي في أكحله. الأكحل: عِرق في وسط الذِّراع يكثر فصده»، والفصد: هو القطع.

(٢) أي: حصونهم.

(٣) أي: من الجلد.

قالت: «فجاء جبريل (عليه السلام) وإنَّ على ثناياه لنقع الغبار، فقال: أوَ قد وضعتَ السلاح؟! والله ما وضَعَت الملائكة بعدُ السلاح، اخرج إلى بني قريظة فقاتِلْهم».

قالت: «فلبس رسول الله ﷺ وسلم لأُمَتِه[1]، وأذَّن في الناس بالرحيل؛ أن يخرجوا، فخرج رسول الله ﷺ، فمرَّ على بني غنم ـ وهم جيران المسجد حوله ـ، فقال: مَن مرَّ بكم؟ قالوا: مرَّ بنا دِحيةُ الكلبيُّ ـ وكان دِحْية الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه السلام ـ».

فقالت: «فأتاهم رسول الله ﷺ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتدَّ حصرهم، واشتدَّ البلاء؛ قيل لهم: انزلوا على حُكْم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لُبابة بن عبدالمنذر، فأشار إليهم أنه الذَّبح؛ قالوا: نَنْزِلُ على حُكْم سعد بن معاذ. فقال رسول الله ﷺ: انْزِلوا على حُكْم سعد بن معاذ. فنزلوا.

---

(١) أداة الحرب كلّها؛ من: رمح، وبيضة، ومغفر، وسيف، ودرع. «الوسيط».

وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، فأُتي به على حمار عليه أكاف[1] من ليف، وقد حُمِل عليه، وحفَّ به قومه، فقالوا: يا أبا عمرو! حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومَن قد علِمْت! فلم يرجع إليهم شيئاً، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم؛ التفت إلى قومه، فقال: قد أنى[2] لي أن لا أُباليَ في الله لومة لائم».

قال: قال أبو سعيد: «فلمَّا طلَعَ على رسول الله ﷺ؛ قال: قوموا إلى سيِّدكم فأنزلوه. فقال عمر: سيِّدنا الله (عزَّ وجلَّ). قال: أنزلوه. فأنزَلوه. قال رسول الله ﷺ: احكُمْ فيهم. قال سعد: فإني أحكم أن تُقتلَ مقاتِلهم، وتُسبى ذراريهم، وتُقسم أموالهم. فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمْتَ بحُكْم الله (عزَّ وجلَّ) وحُكم رسوله».

---

(١) هو البرذعة، وهو ما يوضع على الحمار أو البغل ليُركب عليه؛ كالسَّرج للفرس.

(٢) كذا الأصل، وفي «المجمع»: «أتى لي»، ولعله: «آن لي». انظر: «الصحيحة» (رقم ٦٧).

ويُقال: أنى يأني؛ بمعنى: دنا وقَرُب.

قالت: «ثم دعا سعد؛ قال: اللهم إنْ كنت أبقيت على نبيك ﷺ من حرب قريش شيئاً؛ فأبْقِني لها، وإنْ كنْت قطعْتَ الحرب بينه وبينهم؛ فاقبِضْني إليك».

قالت: «فانْفَجَر كَلْمُه، وكان قد برىء حتى ما يُرى منه إلا مثل الخُرْص[1]، ورجع إلى قبَّتِه التي ضَرَبَ عليه رسولُ الله ﷺ».

قالت عائشة: «فحَضَرَهُ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر».

قالت: «فوالذي نفس محمد بيده؛ إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله عز وجل: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[2]».

قال علقمة: قلت: أي أمَّه! فكيف كان رسول الله ﷺ يصنعُ؟

قالت: «كانت عينُه لا تدمع على أحد، ولكنَّه كان إذا

---

(١) الحلقة من الذهب والفضة.

(٢) سورة الفتح: بعض الآية ٢٩.

وجد؛ فإنما هو آخذٌ بلحيته»[1].

* * *

تقـول عائشة (رضي الله عنها): «فالْتَفتُّ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنَّة».

إنه الاستعداد للقتال...

إنه جيل الرجال...

إنه جيل البطولات والفتوحات.

* * *

ثم تقول عائشة (رضي الله عنها): «فمرَّ سعد وعليه درعٌ من حديد، قد خرَجَت منها أطرافه، فأنا أتخوَّف على

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رواه أحمد، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات».

وقال الحافظ في «الفتح»: «وسنده حسن».

وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ٦٧) لشيخنا الألباني (حفظه الله تعالى)، حيث قال فيه: «وهٰذا إسناد حسن»، وأشار إلى رواية البخاري المختصرة وغيرها.

أطراف سعد».

هٰكذا كان شعور المؤمنة مع المؤمن، والمسلمة مع المسلم، والأخت مع أخيها.

هٰكذا كانت الأُخُوَّة تقتضي التخوُّف على حال الإخوة والأخوات؛ من كل مؤلم أو محزن.

* * *

«فمرَّ وهو يرتجز ويقول:

لَبِّثْ قَليلاً يُدْرِكِ الـهَـيْجـا حَمَـلْ

ما أَحْسَنَ الـمَـوْتَ إذا حَانَ الأجَـلْ»

«... فمرَّ وهو يرتجز».

فلماذا لا نرتضي لأنفسنا أن نفعل ما فعل ذٰلك الجيل الفاضل؟

ولِمَ نسمح لأنفسنا التوسُّع في الأمر، فنقول: أناشيد إسلاميَّة! وحفلة على الطريقة الإسلامية! وأغنية إسلامية!

ومن أين جاءت إسلاميَّة؟!

أمن كتاب الله (تعالى)؟! فأين الآيات التي تنصُّ على صحَّة هٰذه الأناشيد؟!

أم قلتُم عنها (إسلاميَّة) اقتباساً من سنَّة الرسول ﷺ؟! فأين هٰذه الأناشيد في «صحيح البخاري» و «صحيح مسلم» وكتب السنن والمسانيد وغيرها؟!

أم قُلتُم عنها (إسلاميَّة) لأن الصَّحابة (رضي الله عنهم) فعَلوها؟! فهاتوا من كتب الآثار ما يدلُّ على أنهم فعَلوا ذٰلك؟!

لعلَّه قد بقي لكم أن تقولوا: إنَّه الاجتهاد والقياس والاستنباط!!

سبحان الله! كيف تقولون بسدِّ باب الاجتهاد وتأمرون الناس بالتقليد، ثم تقولون: نفعله بالاجتهاد؟!

أوَ ما كان المقتضي لإنشاء مثل هٰذه الحفلات وارداً في عهد الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) في القرون الخيريَّة أم لا؟ فلم تَرَكَه الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) وكان زواجهم أكثر من زواجنا[1]؟!

(١) لأننا اقتصرنا على الواحدة، وهم عدَّدوا؛ لتحقيق رغبة النبي =

فلمَّا تركَهُ خير الناس بعد رسول الله ﷺ؛ كان الأولى لنا أن نَذَرَه وندعَه.

لقد علمنا قياسكم، فعلامَ قِسْتُم؟! وأين المقيس عليه؟!

ولكن:

قولوا بكل صراحة: إننا لا يمكِنُ أن نُشْبِعَ أذواقَ الناس برجز الصحابة (رضي الله عنهم) وأشعارهم.

قولوا ما في قلوبكم، ولا تخفوا ذلك: إننا نريد أن نغلب الإذاعة الجاهليَّة والتلفاز غير المسلم والإعلام المستمدّ من الكفر والشرك.

أوَ تريدونَ هٰذا بالوسائل الصحيحة أم بالوسائل الهالكة؟!

لقد وقَعْنا ـ بهٰذه الأماني المخدوعة ـ بالتشبُّه بمَن

= ﷺ في مكاثرته الأمم بأمته يوم القيامة، ولإكثار النسل، وتقوية الأمة، والإعداد للجهاد، وكسْب الأجر والثواب، مع بذل الجهد في التقوى والخشية لله (تعالى) في تحقيق العدل الممكن بين نسائهم (رضي الله عنهم أجمعين).

أرَدْنا أنْ نغلبهم من حيث لا نشعر.

كم تَوَلَّعَ كثير من الشباب بالأناشيد، واهتمُّوا بها أكثر من كتاب الله (تعالى) وسنة رسول الله ﷺ!

إنَّـه لا ينبغي أن يقودنا التفكير بالبدائل إلى اقتراف الآثام والذُّنوب.

إنَّــه لا ينبغي أن نُتْعِبَ أنفسَنـا لإرضـاء أصحـاب الأهواء، الذين عاشوا سنواتٍ مع أم كلثوم وعبدالحليم حافظ وفريد الأطرش، وقضَوْا حياتهم مع الطبل والمزمار وآلات العزف!

إنّه مما يجدر بنا أن نُخْضِعَ رغباتنا للدِّين، لا الدِّينَ لرغباتنا وأهوائنا.

وينبغي كذلـك أن نتـرك الناس يتمرَّنون على جهاد أنفسهم، والتحاكم إلى شريعة الله (تعالى) في كل أمر، لا أنْ نتأوَّل النصوص، ونلوي أعناقها ـ كما يقولون ـ، ونحمِّلها ما لا تحتمل[1].

(١) وبهذه المناسبة سرَّني ما ذكره أحد الإخوة الأفاضل من قوله: «إن الشيطان لم يحمل بالنص، ولجأ إلى التأويل». فقال أخ حبيب =

هٰذا لمَن يحبُّ الصَّحابة الكرام (رضي الله عنهم) ويسير على منهاجهم.

هٰذا هو الحبُّ الحقيقيُّ: أن نستقيَ سلوكياتنا من نبع هٰذا الجيل الفريد.

إنَّ المسلم الحقيقي لا يملك من الوقت ما يقضيه مع مثل هٰذه الأناشيد التي لم يعرفها أصحاب النبي ﷺ.

* * *

رأى عمر (رضي الله عنه) عائشة (رضي الله عنها) فخاف عليها خوفَ المؤمن كما خافت على سعد (رضي الله عنه)، فقال لها: «ما جاء بك؟! لعمري والله إنَّك لجريئة! وما يؤمنُكِ أن يكون بلاء أو يكون تحوّز؟!».

قالت: «فما زال يلومني حتى تمنَّيتُ أنَّ الأرض انشقَّت لي ساعتئذٍ فدخلتُ فيها!».

خشي عمر (رضي الله عنه) وقوع بلاء يمسُّ أمَّ المؤمنين (رضي الله عنها)، فأخذ يعنِّفُها على وجودِها

= آخر: «أخشى أن يُعذِره أقوام على تأويله»!

في ذلك الموقع.

إنها مظاهر الرحمة على شخصيَّة المسلم والمسلمة تتجلَّى في أجمل صورة بشكل عتابٍ أو تعنيفٍ محبَّب.

* * *

ثم يتصدَّى طلحةُ بنُ عبيدالله (رضي الله عنه) لمناقشة عمر (رضي الله عنه) في الأمر؛ غير متهيِّب من شخصيَّة عمر، ذلك لأن الإسلام علَّمه أن يقول الحق الذي يعتقده؛ دون مجاملة أو مداهنة.

قال (رضي الله عنه): «إنك قد أكثَرْتَ منذ اليوم، وأين التحوُّز أو الفرار إلا إلى الله (عزَّ وجلَّ)؟!».

خالَفَ عمرَ[1] في مقولتِه من باب حُسن التوكُّل على الله، وأنَّ ما قدَّره الله كائن لا محالة، والفِرار لا يكون إلا لله (سبحانه)، والله (تعالى) لا يضيِّع عباده المتَّقين.

* * *

(١) ولا يعني هذا أن عمر (رضي الله عنه) على خطأ؛ لأنه كان يرى أن حسن التوكل لا يخالف الأخذ بالأسباب الصحيحة.

قالت: «ويرمي سعداً رجلٌ من المشركين ـ يُقال له: ابن العرقة ـ بسهمٍ له، فقال له: خذْها وأنا ابن العرقة، فأصاب أكحلَهُ، فقطعَه».

«. . . خذها وأنا ابن العرقة».

هٰذا هو شأن المشركين؛ افتخار بالآباء والقبائل والعروق. . .

﴿ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾[1].

* * *

«فدعا اللهَ (عزَّ وجلَّ) سعدٌ، فقال: اللهمَّ لا تُمِتْني حتى تُقِرَّ عيني من قريظة».

الْتجاءٌ إلى الله (تعالى) أن يُبقيَهُ على قيد الحياة وأن لا يميتَه.

تُرى؛ لماذا هٰذا الدُّعاء؟

أمِنْ أجْلِ أن يتمتَّعَ بالطعام والشراب والنساء والمال والقصور؟!

---

(١) سورة النجم: آية ٣٠.

لا . . . ولكن من أجل أمرٍ عظيم هو أجلُّ من ذلك وأسمى .

ما أكثر الذين يتمنَّوْنَ طول الحياة لتقرَّ أعينهم من اللَّذائذ والرَّغبات . . .

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمونَ﴾[1] .

* * *

«اللهمَّ لا تُمِتْنِي حتَّى تُقِرَّ عيني من قريظة» .

أجْمِلْ بها مِن أعين تلك التي لا تَقَرُّ إلاَّ بالإيمان . . .

أنْعِمْ بها من أعين تلك التي لا تَقَرُّ إلا بمقتل الأعداء والمشركين والكفَّار . . .

ألا نِعْمَتِ الأعينُ ونِعْمَ ما تَقَرُّ به .

رضي الله عنه من جيل؛ راحتُه مرضاةُ الله (تعالى) وتحقيق طاعته .

لقد أقبل عليه الموت، ولكنَّه تضرَّع إلى الله (تعالى)

---

(١) سورة الحجر : آية ٣ .

أن يُدْبِر عنه؛ ليحقِّق هدفاً عظيماً نبيلاً.

إنَّه خشي أن يموت ولا ينتقم من أعداء الله الذين عاثوا في الأرض فساداً...

كان يتضرَّعُ لله (سبحانه)، وكأنَّه لا يوجد على ظهر الأرض غيره؛ ليقتِّل الكفارَ وينتقمَ منهم.

إنه السِّباق للخير، والمسارعة في البرِّ، والمنافسةُ لتقتيل أعداء الله (سبحانه).

إنَّه إلغاءٌ لكلِّ معاني الأنَّكاليَّة والتواكل، وتحقيقٌ للتوكُّل على الله (سبحانه وتعالى).

* * *

قالت: «فرقى كَلْمُه (أي: جُرْحُه)، وبعث الله (عزَّ وجلَّ) الرِّيح على المشركين، فكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويّاً عزيزاً».

تحقَّقت الأمنية بفضل الله (تعالى)، وزال خطر الموت عن سعد (رضي الله عنه)، وسخَّر الله (تعالى) الريح لطاعته، ونَعْتُها على المشركين، فكفى الله

المؤمنين القتال، فلم يحتاجوا في إجلائهم إلى منازلة ولا إلى مبارزة.

قال (تعالى): ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ وكانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[1].

وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول: «اللهمَّ! مُنزل الكتاب، ومُجْرِي السحاب، وهازمَ الأحزاب؛ اهزمهُم وانصُرنا عليهم»[2].

لحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة بن بدر ومَن معه بنجدٍ، ورجعت بنو قريظة فتحصَّنوا في صياصيهم.

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فوضع السلاح، وأمر بقبَّة من أدَم، فضُرِبت على سعد في المسجد.

* * *

(١) سورة الأحزاب: آية ٢٥.

(٢) البخاري ومسلم وأبو داود عن عبدالله بن أبي أوفى (رضي الله عنه).

قالت[1]: «فجاء جبريل (عليه السلام) وإنَّ على ثناياه لَنَقْعُ الغبار، فقال: أوَ قَد وضعت السلاح؟! واللهِ ما وَضَعَتِ الملائكة بعدُ السلاحَ، اخرُجْ إلى بني قُريظةَ فقاتِلْهُم».

«أوَ قد وَضَعْتَ السلاح؟! واللهِ ما وَضعتِ الملائكة بعدُ السلاح».

إنَّ جبريل (عليه السلام) يستغرب أنْ يكون الصحابة قد وَضَعوا أسلحتهم.

«واللهِ؛ ما وضعتِ الملائكةُ بعدُ السلاح».

وما أدري! فلعلَّ الملائكة قد استنفرتْ في السماء لدُعاء سعد: «اللهُمَّ لا تُمِتْني حتى تُقِرَّ عيني من قريظة».

ها هو الدُّعاء الذي انبثق من قلبه (رضي الله عنه)؛ قد فتحَ اللهُ (سبحانه) له باب الاستجابة، ومنَّ عليه بذلك.

هذه حقائق ينبغي ألا يغفلَها المسلمون.

---

(١) أي: عائشة (رضي الله عنها).

﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾[1].

فحذارِ إذن أن ننتظر نصراً من زيد ومن عمرو إذا لم نرَ منه نصراً للإسلام.

لا يكفي أن نرى من فلانٍ وعـلّانٍ مواقف مضيئة، ننسى فيها المواقف المظلمة الهالكة الكثيرة، ولا سيما إن كان حاكماً؛ لأن منهاج الحاكم ينعكس على الأمّة، أما خطأ الفرد؛ فينعكس على نفسه، ومهما تعاظم ذنبه؛ فلا يبلغ ما بلغه عوج الحاكم.

والعجبُ أنَّ الأمّة تتأمّلُ النصر وهي نائمة؛ دون أن تجاهد نفسها وتسعى لإرضاء ربِّها (سبحانه).

فإذا أردنـا النصر؛ فعلينا أن نبذل الأسباب المؤدِّية إليه؛ من تقوى، وإيمان، وتغيير ما في الأنفس والسلوك، وإعداد لما نستطيعه من القوّة والرِّباط.

أمّـا أن يُسخَّر المذياع في الانحراف، والتلفاز في

---

(١) سورة محمد: آية ٧.

الفساد، والإعلام في المعاصي؛ فلا نأملُ بنصر أو فوز.

لقد دعا سعدٌ ربَّه دعاءً خالصاً من قلبه، فاستجاب الله (سبحانه) له... وها نحن ندعو وندعو بالنصر على الأعداء... ولا إجابة!

تُرى ما السرُّ في الأمر؟!

لقد قال ربُّنا (سبحانه): ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، فلِمَ لم يستَجِبْ لنا؟!

أفي الله شكٌّ فاطر السماوات والأرض؟!

حاشا وكلاَّ... لا يُخْلِفُ اللهُ الميعاد.

إذنْ؛ ما الأمر؟

إنَّنا ما دعوناه فيستجيب لنا.

دعوناه بألسنة خاطئة.

دعوناه بألسنة مغتابة.

دعوناه بألسنة كاذبة.

دعوناه بألسنة منافقة.

---

(١) سورة غافر: آية ٦٠.

دعوناه بألسنة زانية.

رفعْنا له أيديَ عاصية.

رفعْنا له أيدي مرابية.

رفعْنا له أيدي سارقة.

رفعْنا له أيدي ظالمة باطشة.

رفعْنا له أيدي تعين على الإثم والعدوان.

دعوناه ونفوسنا مقيمة على المعاصي، ونسينا قولَه (سبحانه): ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1].

لم ندعهُ (سبحانَه) بقلوب صادقة وأفئدة مخلصة.

قد نقنت له في بعض الصلوات ثم نذهب لننام، ولكنَّ الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) كانوا يقنتون بالنوازل ويذهبون للقتال في سبيل الله (سبحانه)[2].

إننا لا نبذل الأسباب للقتال.

---

(١) سورة الرعد: آية ١١.

(٢) كذا قال نحوه شيخنا الألباني (حفظه الله تعالى).

إنَّ أسمى أمانينا أن ننتصر على الأعداء، ولكن...
هل دعونا الله (تعالى) صادقين من قلوبنا أن نموت شهداء؟!

إذا بَلَغْنا من الإخلاص حدّاً أن ندعو الله فيه أن يمنَّ علينا بالشهادة في سبيله؛ فإنها الخطوة الأولى للنصر.

ثم إذا دعونا الله أن يغيِّر ما في نفوسنا؛ فقد خطونا الخطوة الثانية للفوز.

أما الخطوة الثالثة؛ فهي أن نشرع بالعمل الجادِّ البنَّاء المستمر.

أما أن يسبَّ أبناء المسلمين الربَّ (سبحانه) ودين الإسلام في الشوارع، ويتلفَّظون الألفاظ البذيئة؛ فالنصر عنَّا بعيد بعيد.

أمّا أن نظلَّ غارقين في الهوى والشهوات والمحرَّمات؛ فلا نحلم بالنصر، بل بيننا وبينه كما بين المشرق والمغرب.

* * *

«والله؛ ما وَضَعت الملائكة بعد السِّلاح!».

وما أدري! فلعلَّ الملائكة قد استنفرت في السماء والصحابة في الأرض؛ تلبيةً لدعوة سعد بن معاذ (رضي الله عنه)؛ كي تَقَرَّ عينُه من قريظة.

قولوا هذا القول لمَن وضعَ السلاحَ عنه، ووضع اللهو والهوى في قلبه ونفسه.

قولوه لمَن لا سلاح عنده.

قولوه لمَن لا يُحْسِنُ استخدام السلاح.

قولوه لمَن لا يستطيع صناعة السلاح.

قولوه لمَن يوجِّهُ السلاحَ إلى غير محلِّه.

إنَّ الأمَّة التي لا تتعامل بالسلاح أمَّة هزيلة مهزومةٌ ضائعةٌ.

* * *

«... اخـرُجْ إلى بني قريظة فقـاتِلْهم... فلَبِسَ رسول الله ﷺ لأْمَتَهُ...».

جاء الأمر من السماء للنبيِّ ﷺ بقتال بني قُريظة،

فلبِسَ الرسول ﷺ لأْمَتَهُ استجابةً لأمر الله (سبحانه وتعالى).

هٰذا هو رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة لأمّته.

هٰذا هو القائد العامل المجاهد يبدأ بنفسه أوّلاً.

* * *

«وأذِّنَ في الناس بالرحيل أن يخرجوا».

أصدر الرسول ﷺ أوامره بالتوجُّه لقتال بني قريظة، وكان ذٰلك؛ لأنهم مستعدُّون لمِثْل هٰذا، فأين استعدادُنا إذا طُلِب منَّا ذٰلك؟

لا بُدَّ من إعداد يتلوه إعداد؛ في العقيدة، والإيمان، والقوَّة، والجهاد، والمجاهدة، والصبر، والمصابرة.

لا بدَّ من تربية النفوس على هٰذا زمناً طويلاً، حتى إذا دعا داعي الجهاد؛ قمنا نلبِّي النداء.

أمَّا أن نظلَّ قاعدين ونردِّد شعارات الجهاد الزائفة؛ فهٰذه الأساليب لا تسمن ولا تُغني من جوع.

* * *

«فأتاهم رسول الله ﷺ، فحاصرهُم خمساً وعشرين ليلة».

حاصرهم رسول الله ﷺ.

كان الحصار في عهد الإيمان والتقوى، ونحن الآن نُغْزَى ونُحتَلُّ ونُحاصر ونُهاجم.

ها هي الأمم قد تداعَتْ علينا كما تتداعى الأَكَلَة على قصعتها؛ لأننا تخلَّينا عن دين الله (تعالى)، وتركْنا الجهاد في سبيل الله، واهتممْنا بالزَّرع والضَّرع والدِّرهم والدينار، ومع كلِّ هٰذه الاهتمامات؛ هُدِّدْنا في زروعنا وأموالنا وبيوتنا وأراضينا، بل وفي أنفسنا.

خشينا الاحتلال من أعدائنا، وسنظلُّ نخشاه حتى يأتي الله (سبحانه) بأمر من عنده، بل ووقع في بعض بلادنا، بل وفي أغلاها.

* * *

«فلمَّا اشتدَّ حصرُهم، واشتدَّ البلاء؛ قيل لهُم: انزِلُوا على حُكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لُبابة بن

عبدالمنذر، فأشار إليهم أنَّه الذَّبح؛ قالوا: ننزل على حُكم سعد بن معاذ. فقال رسول الله ﷺ: انزلوا على حكم سعد بن معاذ. فنَزَلوا».

يريد الله (تعالى) أن يحقِّق دعوة سعد (رضي الله عنه)؛ كي تَقَرَّ عينُه مِن قريظة، فكيف تمَّ ذٰلك؟

تمَّ ذٰلك بأن ينزِلوا على حكمه (رضي الله عنه).

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1]. ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[2].

لا غرابة ولا عجب أن يقعَ هٰذا كلُّه؛ فإنه الرجل الذي قال فيه (عليه السلام): «اهتزَّ عرشُ الرحمٰن لموت سعد ابن معاذ»[3].

* * *

(١) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

(٢) سورة المائدة: آية ١١٩.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وهو من «فتح الباري»، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ، المجلد السابع.

«حتّى إذا دنا من دُورهم ؛ التفتَ إلى قومه، فقال: قد أنى[1] لي أن لا أبالي في الله لومة لائم».

لقد آن الأوان الذي لا يبالي في الله لومة لائم.

لقد حان الوقت الذي يحكم فيه بحُكم الله.

لقد أقبلت عليه السعادة مرفرفة بأجنحتها كي تَقَرَّ عينُه (رضي الله عنه) من القوم الظالمين.

* * *

«قال رسول الله ﷺ: احكم فيهم. قال سعد: فإني أحكم أن تُقتل مقاتلهم، وتُسبى ذراريهم، وتُقسم أموالهم».

كان حُكْمه (رضي الله عنه) بالقتل والسبي وتقسيم الأموال.

فماذا بقي لأولئك المجرمين؟!

وهل هناك من شيء بعد هذا تَقَرُّ به عينُهُ (رضي الله عنه)؟!

---

(١) مضى شرح معناها في (صفحة ١٥).

إنها الاستجابة للدُّعاء تتمثَّل في صورة مشرقة مضيئة.

هٰذا هو الصدق مع الله (تعالى)، وهٰذا هو الإخلاص لله (سبحانه).

* * *

«فقال رسول الله ﷺ: لقد حكَمْتَ بحُكْم الله (عزَّ وجلَّ) وحُكم رسوله».

إنَّه يمشي (رضي الله عنه) على نور من ربِّه (سبحانه).

﴿والَّذينَ جَاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾[1].

توفيقٌ من الله (تعالى) له؛ ليحكم بالحقِّ والصواب... ليحكم بحُكْم الله (سبحانه) وحُكم رسوله ﷺ... ذٰلك لأنه عاش حياته مع كتاب الله (تعالى) وتوجيهات رسول الله ﷺ.

* * *

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٩.

«ثمَّ دعا سعد؛ قال: اللهم إن كنتَ أبقيْتَ على نبيِّك ﷺ مِن حرْب قريشٍ شيئاً؛ فأبقني لها، وإن كنتَ قطَعْتَ الحرب بينه وبينهم؛ فاقْبِضْني إليك».

قالت: «فانْفَجرَ كَلْمُه، وكان قد برِىء حتى ما يُرى منه إلَّا مثل الخُرص».

«اللهمَّ إن كنتَ أبقيتَ على نبيِّك ﷺ من حرب قريش شيئاً؛ فأبْقِني لها».

. . . سبحان الله!

ما أنقى قلوبَ هٰذا الجيل! ما أشدَّ ورعهم! ما أعظم تقواهم!

وكأنه لا يعيش إلا للجهاد في سبيل الله (تعالى) ونُصرةِ دينه (سبحانه).

«. . . فأبقني لها».

أبْقِني للحرب في سبيلك.

أبْقِني لأقاتل الكفار والمشركين.

أبْقِني لأعْلِيَ كلمتَكَ.

أبْقِني لتُعْبَدَ في الأرض.

أبْقِني لتَقْوى شوكة المسلمين.

هٰذا هو البقاء الذي ينبغي أن نفكّر فيه وندعو له، وما سواه هو الفناء.

بهٰذه المفاهيم الطيبة؛ انتصر ذٰلك الجيل الفاضل، وحقّق الفتوحات...

وبغياب هٰذه المفاهيم عنّا؛ غزانا المشركون والكفرة، واحتلّ أرضَنا اليهود الماكرون، وركَعْنا لمجلس الأمن، وأصبحنا كالكرة الصغيرة تتقاذفها الأيدي النجسة المشركة الكافرة هنا وهناك.

هٰذا هو الجيل الذي يعرف لماذا يعيش ولماذا يموت.

هٰذا هو الصنف الذي يدري ما الذي يفعله للعيش الطيّب والموت الكريم وما بعده.

* * *

«وإن كُنْتَ قَطَعْتَ الحربَ بينه وبينهم؛ فاقْبِضْني

إليك».

إنْ لم يبق مِن حرب وقتال وجهاد؛ فإنه لم يبْق لي من عمل، فاقْبِضْني إليك.

يا حسرة على العباد! كيف يسمعون مثل هٰذا وهم يمضون في غيِّهم وضلالهم؟!

كيف ندَّعي اتِّباع منهاج السلف الصالح والصحابة الكرام (رضي الله عنهم) ونحن عنه معرضون؟!

هٰذا هو نهج الصحابة (رضي الله عنهم)؛ فأين نحن من نهجهم؟! وكيف ننعم بالاً ونحن نخالف منهاجهم وطريقتهم؟! كيف نشعر بالراحة ونحن على غير سبيلهم وطريقهم؟!

عفواً عفواً... هٰذه مطالبُ شاقَّة صعبة.

إنَّني أطالبُ قبل هٰذا باتِّباع نهجهم في المسائل العلميَّة، وألا نقدِّم عليهم الرِّجال.

كيف يتَّبع المرء منَّا سبيلهم في الأعمال وهو لا يستطيعُ اتِّباعهم في الأقوال؟!

كيف نقدِّم عليهم آراء الرِّجال وزبالة الأذهان؟!

كيف نقـدِّم عليهم آراء الفـلاسفة والمتكلِّمين، ثم نريد اتِّباع سبيلهم الجهاديّ القتاليّ؟!

لا بدَّ إذن من جهاد النفس، ومن التدريب على اتِّباع سبيلهم في جهادٍ لا دم فيه؛ ليكون جهاد الدم والقتال.

* * *

فانْفَجَرَ كَلْمه (رضي الله عنه).

تتابعت استجابات الله (سبحانه) له بالدعاء في إبقائه وقبْضه (رضي الله عنه).

* * *

«قالت: فوالذي نفس محمد بيده؛ إنِّي لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله (عزَّ وجلَّ): ﴿رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾».

بكى عليه الباكون، وتألَّم المتألِّمون؛ لأنهم فقدوا عزيزاً حبيباً مخلصاً وفيّاً.

كانوا كما قال الله (عز وجلَّ): ﴿رُحَماءُ بينَهُم﴾.

هٰذه هي الرحمة تتمثَّل في الشعور والإحساس والعمل والسلوك . . .

لقد تمثَّلتْ بالبكاء على الفقيد الحبيب الغالي (رضي الله عنه).

كم من الناس تُعانقه المصائب فلا يدرى به!

كم نسمع بموت بعض إخواننا وأحبائنا؛ فلا نزيد على أن نقول: رحمهم الله؛ دون متابعة لما يترتَّب على موتهم من حاجة أهليهم وأبنائهم!

كم من الناس يجوع ولا يُدْرى به[1]!

فلتتمثَّل الرَّحمة فينا بالمعنى الذي فهِمَه الصحابة الكرام (رضي الله عنهم).

دموعٌ وبكاءٌ لمَن نفقد.

سرورٌ وابتسامٌ لمَن نَلْقى.

إطعامٌ لمَن يجوع.

(١) وليس هٰذا على إطلاقه، فهناك ـ والحمد لله ـ مَن بذَلوا أموالهم وأوقاتهم؛ ليفرِّجوا عن المكروبين، ويغيثوا الملهوفين، ويلبُّوا حاجات البائسين.

إغاثةٌ للمحتاج.

تزاورٌ وودٌّ وألفةٌ ومحبّة.

إنَّها الرحمة التي قال عنها ﷺ في غير هذه المناسبة: «هذه رحمةٌ جعَلَها الله في قلوب عبادِه، وإنَّما يرحمُ الله مِن عباده الرُّحماء»[1].

رضي الله عنك يا سعد!

لقد عَمِلْت ليوم تشخص فيه الأبصار.

لقد قدَّمتَ ليوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون؛ إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليم.

قدَّمتَ للجنَّة، وأخَذْتَ بأسباب البُعد عن النار، ومع ذلك قال فيك رسول الله ﷺ: «لو نجا أحدٌ من ضمَّة القبر؛ لنجا سعدُ بنُ معاذ، ولقد ضُمَّ ضمَّة، ثمَّ روخِيَ عنه»[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وانظر: «فتح الباري»، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه...» (١٢٨٤).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» وغيره، وهو في «السلسلة =

ماذا فعلْنا لضمَّة القبر؟

هل سألْنا الله الشهادة بصدق؟

هل اتَّقَيْنا الله في ألسنتنا؟

هل صلَّيْنا بخشوع؟

هل اجْتَنَبْنا المحرَّمات؟

هل سعَيْنا لفعلِ الواجبات؟

فلْنَذْكُر ضمَّة القبر في السجود، فنزيده تسبيحاً ودعاءً وتضرُّعاً وابتهالاً.

لنذكُرْ ضمَّة القبر حين نجادل ونناقش ونسعى لنُخَطِّئ غيرَنا ونصوِّب أنفسنا.

لنذكُرْ ضمَّة القبر عندما نبحثُ عن الأدلَّة والنصوص والأقوال التي تنصرُ آراءنا.

لِنَذْكُر ضمَّة القبر عندما نغضبُ في النَّصيحة البنَّاءة والتوجيه الهادف؛ بحجَّة الفظاظة وجفاف الأسلوب.

لنذْكُر ضمَّة القبر عندما نمضي لجمع المال؛ لا

= الصحيحة» (رقم ١٦٩٥).

نسأل: أمِن حرام هو أم مِن حلال؟!

لنَذْكُر ضمَّة القبر عندما نفتري ونكذبُ ونتافقُ ونخادعُ.

لنَذْكُر ضمَّة القبر في البيع والشراء.

لنَذْكُر ضمَّة القبر؛ لنحسِّنَ سلوكَنا ونغيِّر ما في نفوسِنا، ونمضي على منهاج سعد وصحبه (رضي الله عنهم أجمعين).

* * *

قصة أعرابي صدق الله فصَدَقَهُ

هٰكـذا تفجَّر الإخلاص لله تعالى من فؤاد سعد بن معاذ (رضي الله عنه).

ولكن؛ هل هٰذه قصـة يتيمـة في التاريخ؟! أم لها أخوات وأخوات؟!

بل هناك قصص وقصص، منها ما نجده في بطون الكتب، ومنهـا ما لا نجـده فيهـا، ومنها ما ذُكِرَ أسماء أبطالها، ومنها ما لم يُذكر:

من ذٰلك ما رواه شدَّاد بن الهاد (رضي الله عنه): «أنَّ رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ، فآمَنَ به، واتَّبعهُ، ثم قال: أُهاجِرُ معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه.

فلمَّا كانت غزوة؛ غَنِمَ النبي ﷺ سَبْياً، فقسَّمَ، وقَسَم له، فأعطى أصحابه ما قَسَمَ له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء؛ دفعوه إليه، فقال: ما هٰذا؟ قالوا: قِسْمٌ قَسَمه لك النبي ﷺ.

فأخذه، فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هٰذا؟ قال: قَسَمْتُهُ لكَ. قال: ما على هٰذا اتَّبعتُك، ولكنِّي اتَّبعتُك على أن أُرمى ها هُنا ـ وأشار إلى حلْقه ـ بسهم، فأموت، فأدخل الجنة. فقال: إن تصدق الله يصدقْك.

فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به النبي ﷺ يُحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أهو هو؟ قالوا: نعم! قال: صدَقَ اللهَ فصَدَقَهُ.

ثمَّ كفَّنَهُ النبيُّ ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثمَّ قدَّمه فصلَّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: اللهمَّ هٰذا عبدك، خرج مهاجراً في سبيلك، فقُتل شهيداً، أنا شهيد على ذٰلك»[1].

---

(١) رواه النسائي والطبراني وغيرهما، وهو من «صحيح سنن النسائي» (رقم ١٨٤٥).

«. . . أنَّ رجلاً من الأعراب».

رجلٌ من الأعراب.

رجلٌ من الأعراب، لم يُذكَر اسمُه على صفحات الكتب، ولكنَّه مذكور عند الله (سبحانه).

حسبُه أن يُذكر اسمه في السماء.

كم من الناس يعمل لِيُقالَ عَمِلَ!

كم من الناس يعملُ لِيُنْشَرَ اسمُه!

كم من الناس يعملُ ليُسْمُوَ نجمُه!

كم من الناس يعملُ ليفشُوَ ذكره في الصحف والمجلاَّت!

هؤلاء الذين لا يعمَلونَ لله ربِّ العالمين، إن يكنْ لهُم ذكرٌ عَمِلوا، وإلاَّ توقَّفوا.

لقد ربَّينا أبناءَنا ـ مع الأسف ـ على فساد النيَّة والطويَّة. . . على الرياء وحب الشهرة.

يُرغِّب الأب ابنه في مهنة أو عملٍ ما قائلاً له: غداً يُقال عنك: طيَّار، طبيبٌ. . .

نحن لا نقول له: أريدك أن تكون طبيباً؛ تعالجُ مرضى المسلمين، وتساعد الفقراء منهم والمساكين، ولك الأجر والثواب من الله (سبحانه وتعالى).

نرغِّبُ أبناءنا في أيِّ مهنةٍ للظُّهور.

نرغِّبُهم في أيِّ دراسة للشهادة؛ ليقال: فلانٌ تحصَّل على شهادة كذا وكذا.

لماذا لا نرغِّب أبناءنا بالجهاد؟!

لماذا لا نغرِس في قلوبِهم حبَّ الشهادة في سبيل الله (تعالى)؟!

لماذا لا نضعُ في نفوسهم حبَّ الإخلاص لله (سبحانه)؟!

لماذا لا نزرعُ في أفئدتهم الحرصَ على كسب الأجر والثواب؟!

* * *

«جاء إلى النبي ﷺ، فآمنَ به، واتَّبعه، ثم قال: أُهاجر معك».

«فآمن به».

والإيمان قبل كل شيء.

الإيمان هو الذي يأتي بالثَّبات.

الإيمان هو الذي يجلب المعجزات.

الإيمان هو الذي يحقِّقُ النصر.

«. . . واتَّبَعَهُ».

هٰذا تحقيق لمعنى التَّربية.

اتَّبع النبيَّ ﷺ ولَحِقَ به. . . وهٰذا هو الإيمان والعمل.

ثمَّ قال: «أهاجر معك».

وهٰذا استعداد لتحمُّل الصعاب والمشاقِّ في سبيل الله (عزَّ وجلَّ).

* * *

«فأوصى به النبي ﷺ بعضَ أصحابه، فلمَّا كانت غزوة؛ غَنِم النبي ﷺ سَبْياً، فقسَّم وقَسَم له، فأعطى أصحابه ما قَسَمَ له، وكان يرعى ظهرهم».

إيمانٌ واتِّباعُ وهجرةٌ وجهاد. . .

«كان يرعى ظهرهم».

كان له موقعٌ ومنزلةٌ في الأمَّة.

فما منزلةُ الشخص منَّا؟

إلامَ يسعى أحدُنا في الليل والنهار؟ ألأجل مصالحه الخاصَّة فقط؟!

حتَّام نظلُّ نركض لحطام الدُّنيا الزَّائل؟

نعوذ بالله أن تكون الدُّنيا أكبر همِّنا ومبلغ علمنا.

فليكُنْ لكلٍّ منا موقعُه.

رجلٌ يوظِّفُ لسانَه بصدْقٍ للأمَّةِ.

ورجلٌ يعملُ بقلمِه.

وآخرُ يخدِمُ بمالِه.

وآخرُ بأفكارِه وآرائِه.

وآخر بحماسِه المشروع الصادق.

وآخر بدعوتِه الدَّائبة المستمرَّة.

وآخر بدعائه وإخلاصه وصلاته.

ابْحَثْ عن موقعك من هؤلاء، وإلاَّ؛ فابكِ البكاءَ المرَّ؛ فإنَّه ما حلَّت المصائب إلا لأنَّك لستَ من هؤلاء الذين ذكرْتُ.

* * *

دَفَعَ الصحابة (رضي الله عنهم) إليه ما قسمه له النبي ﷺ، فاستغرب الأمر، فقال: «ما هذا؟»، فأخبروه أنَّ ذلك نصيبه من الغنيمة، فأخذه إلى النبي ﷺ، فقال: «ما هذا؟ قال: قسمتُه لك. قال: ما على هذا اتَّبعْتُكَ، ولكنِّي اتَّبعتُك على أنْ أُرمى إلى ها هنا ـ وأشار إلى حلْقة بسهم ـ، فأموت، فأدخل الجنة».

ما على هذا اتَّبعتُك.

ما على المالِ اتَّبعتُك.

لا لأجل الغنائم قاتلْتُ معك.

لا للمتاع الزائل جاهدْتُ معك.

لا للدُّنيا الفانية صاحبْتُك.

فلمَ اتَّبعَهُ (رضي الله عنه) إذن؟!

ليت هٰذه الكلمات تجري في سلوكنا.

ليتنا نعقِلُ معناها ومغزاها.

ليتنا ندرك مقصدَها ومرماها.

كم من النـاس يعملون ويعملون، ولكنَّهم يزِنـون بذلك أرباح الدُّنيا قبل أيِّ عمل!

فإن أُعْطِي أحدهم في الدُّنيا؛ رضي، وإن لم يُعْطَ؛ سخِط ولم يرضَ ولم يَقُم بالعمل.

وتعدَّى الأمر إلى ما هو أدهى من ذلك؛ أن يقارِفَ غير المشروع لمصلحة زائلة من مصالح الدُّنيا.

فهـا أنت ترى مع الأسف من الأئمَّة من يمتنع عن بعض الصلوات؛ لأنه مُجاز!

وهـا أنت ترى بعض الـوعَّـاظ[1] يحضِّـر الـدروس

(١) لا أعمِّم الكلام على جميع هٰذه الأصناف، ففي التعميم ظلم وظلمـات، ومن هٰذه الأصنـاف ـ والحمـد لله ـ مَن وفَّقه الله (تعالى)، فكانت الآخرة أكبر همِّه، وزهد بالدنيا أشد زهد، وأخذ منها ما يبلغه الدار الآخرة.

والمواعظ؛ تحضير الموظَّف، لا تحضير الدَّاعي إلى الله (تعالى).

وهـا أنت ترى من الناشرين[1] مَن ينشر ويبيع ما لا يجوز بيعُه ولا نشرُه، وهو في بداية عمله قد أخذ على نفسه عهداً ألَّا ينشُرَ إلَّا النافع، ولكن أصابته الفتنة.

وها أنت ترى من المؤلِّفين[1] من يكتب في مختلف الموضوعات؛ لشهرة أو مال؛ سواء بالاقتباس، أو السرقة، أو أي وسيلة؛ لأنه يؤلِّف لنفسه فتوى يجيز بها ما يشتهي.

وهـا أنت ترى مَن يثني على الحكَّام الجائرين، ويعينُهم بالفتاوى الباطلة، وإن عارَضْته بشيء منها؛ أتى لك بآيات ونصوص وتأويلات يعجز الكثيرون عن الردِّ عليه.

فالمفتي في البلد الاشتراكي متَّفق تماماً مع حكَّامها.

والمفتي في البلاد البعثية لا يختلف أبداً مع الرُّعاة هناك.

---

(١) نفس الحاشية السابقة.

والمفتي في البلاد الشيوعية مستأنس مع أولي الأمر والنَّهي فيها.

والمُفتي في كل بلد يُرضِي حاكِمَه وسُلطانه!

فلِمَ هٰذه العجائب؟! ألخرابٍ في الدِّين؟! حاشا وكلاًّ، بل إنه الهوى، فقاتل الله الهوى.

ليتنا نجمع هٰؤلاء المُفتين لنرى كيف يكون اجتماعُهم وتأويلهم وتلاعبهم بالنُّصوص.

نريد من هٰؤلاء أن يتحاوروا ويتناظروا ويتناقشوا؛ فإن هٰؤلاء أدرى بزيغ قلوب بعضهم.

فالسرُّ الكامن في الضَّلال إذن هو عدم الإخلاص لله (تعالى).

فلنتَعَلَّمْ من هٰذا الأعرابيِّ دروساً في الإخلاص؛ لنكون علماء عاملين صادقين؛ نقول بما نعلم، ونعلم بما نقول، في ضوء العلم الصحيح.

ولنتعلَّم من هٰذا الأعرابيِّ الدُّروس في محاربة الهوى ومقاتلة التكالُب على الماديَّة.

* * *

«ولكنِّي اتَّبَعْتُكَ على أن أُرْمَى إلى ها هنا ـ وأشار إلى حلْقه ـ بسهمٍ ، فأموت ، فأدخل الجنة» .

بيَّن (رضي الله عنه) لماذا اتَّبع الرسولَ ﷺ .

«اتَّبعتُكَ على أنْ أُرْمَى إلى ها هنا» .

اتَّبعتُكَ لأقاتل في سبيل الله (تعالى) .

هل قال هٰذا الأعـرابيُّ : لأقـاتل ، ثم لأغنم ، وأُقيم المشاريع من الغنائم التي أكسِبها؟!

لا ؛ بل قال (رضي الله عنه) : « . . . على أن أُرْمَى إلى ها هُنا . . . » .

إنَّهُ لا يُريد إلَّا شهادة في سبيل الله؟

وهل هٰذا يعني أنَّه لا يقدِّرُ قيمة الأشياء؟

لا . . . لا ؛ إنه ما قال مقولته تلك ؛ إلا لطمعهِ بجنَّة عرضها السماوات والأرض .

لقد أشار (رضي الله عنه) إلى حلْقه ؛ ليعبِّرَ عن معنى مكنون في النفس .

إنَّه لا يريدُ أن يقدِّم شيئاً على الجنَّة أبداً .

وكأنَّه رأى أنَّ أخْذَ القِسْم من الغنيمة يُنْقِص من أجْره وثوابه عند الله (تعالى).

وكأنه بإشارته إلى حلْقه يقول: إن مجيء السهم هنا آكد للموت من غيره.

استعداد للقتال.

استعداد للشهادة.

استعداد للإصابة في أخطر أجزاء الجسد.

فهل نفعل هٰذا ونحن ندَّعي حبَّ الجهاد، ونخطب فيه، وندعو له؟!

هل هيَّأ الشخص منَّا نفسه أن تأتيه الرصاصة في حلقه فيموت؟!

هل استشعر أحدُنا أن تتفرَّق أجزاء جسده في ساحة الجهاد في سبيل الله (تعالى)؟! أم أنَّ ذٰلك علينا عزيز؟!

هذه خطوات حقيقيَّة للجهاد في سبيل الله (سبحانه).

هٰذه خطوات صادقة لقتال أعداء الله.

أمَّا أن ندَّعي الجهاد ولا جهاد؛ فإننا بذلك لا نخدع ربَّنا (سبحانه)؛ لأنه يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصُّدور، بل إنَّنا نخدع أنفسنا التي بين جنوبنا.

إنَّ الخُطَب عن الجهاد لذيذة ممتعة...

إنَّ الكلام عن القتال يسير غير عسير...

ولكنْ؛ ليس هٰذا وحده هو سبيل الصحابة، ولا هٰذا هو سبيل المؤمنين.

إنَّ هٰذا لن يُغَيِّرَ من واقِعنا شيئاً.

فلنَبْدَأْ بجهاد النفس أولاً؛ فإن رسول الله ﷺ يقول: «المجاهد من جاهد نفسه في الله»[1].

بل هو أفضل الجهاد؛ كما في قوله ﷺ: «أفضل الجهاد مَن جاهد نفسه في ذات الله»[2].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» وغيره، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ٥٤٩).

(٢) جزء من حديث أخرجه ابن نصر في «الصلاة» بسند صحيح؛ كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ١٤٩١)، وروى نحوه أبو =

«. . . فأموت، فأدخل الجنة».

لا بُدَّ إذن أن نُحدِّثَ أنفسَنا بالموت؛ لنعمل ونحسِّن الأعمال.

لا بُدَّ أن نذكر الموت قبل أن نتلفَّظ بالكلمة؛ لنرى كيف نتلفَّظها.

لا بُدَّ أن نذكر الموت قبل أن نعمل العمل؛ لنرى كيف نفعله.

هٰكذا أوصانا رسول الله ﷺ بذٰلك، فقال: «أكثروا ذِكْرِ هاذمِ اللَّذَّات: الموت؛ فإنه لم يذكُرْه أحدٌ في ضيقٍ مِن العيش إلا وسَّعه عليه، ولا ذكرَه في سَعَةٍ إلا ضيَّقها عليه»[1].

أجل أجل. . . بالموت تهون الخطوب، وتسهل الصعاب.

= نعيم في «الحلية» وغيره؛ كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ١٤٩٦).

(١) رواه النسائي وغيره مختصراً، وهو في «إرواء الغليل» (رقم ٦٨٢).

لقد أوصانا رسول الله ﷺ أن نذكر الموت في صلاتِنا فقال: «اذكُر الموت في صلاتك؛ فإنَّ الرجل إذا ذكرَ الموت في صلاتـه؛ لحـريٌّ أن يُحْسِنَ صلاتَه، وصلِّ صلاةَ رجلٍ لا يظنُّ أنَّه يصلِّي صلاةً غيرَها، وإيَّاكَ وكلَّ أمرٍ يُعْتَذَر منه»[1].

انـظروا ـ يرحمني الله وإياكم ـ إلى صلاتِنـا؛ أهي حسنة أم لا؟

ليس من العجب ألَّا ترى الحُسن والإتقان فيها؛ ذلك لأنَّ ذِكْرَ الموت فيها ميِّت أو شبه ميت!

لا ينبغي لنا أبداً أن ننسى قوله ﷺ: «فإنَّ الرَّجل إذا ذكر الموت في صلاته؛ لحريٌّ أن يُحْسِنَ صلاتَه».

ألا نفهَمُ من ذلك أنَّ الرجل إذا لم يذكر الموت في صلاته لجدير ألَّا يحسنها؟!

إن رسول الله ﷺ يطلُبُ منَّا أن نصلِّيَ صلاةَ مودِّعٍ.

---

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس / مختصره»؛ كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ١٤٢١).

قال (عليه السلام): «صَلِّ صلاةَ مودِّعٍ كأنَّكَ تراه، فإنْ كنتَ لا تراه؛ فإنه يراكَ»[1].

هٰذه الصلاة تفسِّر قوله ﷺ: «وصلِّ صلاةَ رجلٍ لا يظنُّ أنَّهُ يُصلِّي صلاةً غيرَها».

إنَّ ذكرَ الموت أعظم إعدادٍ للجهاد الصادق... هٰذا لمن أراد الإعداد، ولمَن أراد الجهاد في سبيل الله (تعالى).

* * *

«... فأموت، فأدخل الجنة»..

إذن؛ لا سبيل لجنَّة عرضُها السماوات والأرض؛ إلا أن نضع الموت في قلوبنا.

أما التفكير الدائم في الحياة وتطويرها وإعمارها والركون إليها؛ فإنه يؤدِّي إلى عدم حبِّ الجهاد، وإلى

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ» وغيره، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ١٩١٤).

ضعف توجُّه القلوب والأركان بالأعمال الصالحة إلى الله (سبحانه).

* * *

ماذا قال له رسول الله ﷺ حين سمِعَه؟

«إن تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ».

إنَّه الصِّدق في القول والمنهاج.

إنَّـه الوضوح في الرؤية عند ذلك الصحابي (رضي الله عنه).

لقد صدق (رضي الله عنه) في القول والسلوك والمظهر...

لقد صحَّ سيْره ومنهاجه...

ولكنَّ هٰذه الأمورْ باتت غامضة على أمَّتنا.

فقولُنا ـ للأسف ـ غير سديد، نقول ما لا ينبغي قولُه، ونحسب أنَّنا نُحْسِنُ قولاً.

ونعمـلُ الأعمـال الكثيرة المغلوطـة، ونحسب أنَّنـا

نحسن صنعاً.

الطريق إلى قيام المجتمع الإسلامي أمامنا معتمٌ مظلمٌ.

* * *

«إن تصدُقِ اللهَ يصْدُقْكَ...».

ماذا يقول (عليه السلام) لو سمعَ خطباءَنا اليوم[1]؟!

وماذا يقولون هم لأنفسهم؛ فإنهم يعلمون أنَّهم يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يقولون؛ إلا مَن رحم الله، وقليلٌ ما هم؟!

إنَّه يطيب لأحدهم أن يسجِّل خُطبتَه، ويستمتعَ بها في كثيرٍ من أوقاته.

كم هو في حبورٍ وسرورٍ من صوته الجهوريِّ وتحسينه الأداء.

كيف أحوالُنا بعد هٰذه الخطب؟

---

(١) لا أعني بقولي هٰذا إنكار الخطابة مطلقاً، فللخطابة فوائد وفوائد، لكن بقيود وشروط، وليس هٰذا موطن تفصيلها.

ما الذي غيَّرناهُ من واقعنا؟

الجوابُ مؤلمٌ يبكي ويُدمي.

إنَّ أزمة الأمة هي الصدق مع الله.

إنَّ أزمتنا هي الصدق مع أنفسنا، فلنَسْعَ صادِقينَ لحلِّ هٰذه الأزمة.

* * *

«فلَبِثوا قليلًا، ثمَّ نهضوا في قتال العدوِّ، فأُتي به النبي ﷺ يُحْمل، قد أصابه سهمٌ حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أهُوَ هُو؟ قالوا: نعم. قال: صَدَقَ اللهَ فصَدَقَهُ».

«فأُتِيَ به النبي ﷺ يُحملُ، قد أصابَه سهمٌ حيث أشار».

ما أبلغ العمل! وما أجمله!

إنَّ هٰذا لأبلغُ من مئات الخُطب.

«صَدَقَ اللهَ فصَدَقَهُ».

صدَقَ اللهَ بالعمل والفعل.

صَدَقَ الله ببذل النفس والدَّم.

فهلمَّ بنا إلى صدقٍ من هٰذا النوع؛ ينْجِي أمَّتَنا، ويحطِّمُ أعداءَنا.

* * *

«ثمَّ كَفَّنَه النبيُّ ﷺ في جبَّة النبي ﷺ».

لقد أكرمَ الله (تعالى) ذٰلك الأعرابيَّ إكراماً يتمنَّاه كثيرٌ من الصحابة (رضي الله عنهم).

مِن هٰذا أن يُكَفَّنَ في جُبَّةِ النبي ﷺ.

ومِثل هٰذا ما رواه سهل بن سعد (رضي الله عنه): «أنَّ امرأة جاءت النبيَّ ﷺ ببُردةٍ منسوجةٍ فيها حاشِيَتُها[1]، أتدرونَ ما البُردة؟ قالوا: الشَّملة[2]. قال: نعم. قالت: نَسَجْتُها بيدي لأكسُوَكَها. فأخذها النبي ﷺ محتاجاً

---

(١) قيل: حاشية الثوب: هدبه. وقال القزاز: حاشيتا الثوب: ناحيتاه اللتان في طرفهما الهدب. «فتح».

والهدب: الخمل، ولعلَّه ما ينسج وتفضل له فضول.

(٢) قال الحافظ: «وفي تفسير البُردة بالشملة تجوُّز؛ لأن البُردة كساء، والشملة ما يشتمل به، فهي أعمّ، لكن لما كان أكثر اشتمالهم بها؛ أطلقوا عليها اسمها».

إليها، فخرجَ إلينا وإنَّها إزاره، فحسَّنها فلانٌ، فقال: اكْسُنيها ما أحسنَها! قال القوم: ما أحسنْتَ، لَبسها النبيُّ ﷺ محتاجاً إليها، ثمَّ سألته وعلمْتَ أنَّه لا يردُّ. قال: إنِّي والله ما سألتُه لألبسَهَا، إنَّما سألتُه لتكونَ كفني».

قال سهلٌ: «فكانت كَفَنَهُ»[1].

* * *

«فكانَ فيما ظهر من صلاته: اللهمَّ هٰذا عبدُك، خرجَ مهاجراً في سبيلك، فقُتِلَ شهيداً، أنا شهيدٌ على ذٰلك».

خرج مهاجراً لله (تعالى).

هجر الشهوات والملذَّات والمباحات في سبيل الله (سبحانه).

وَدَعَ الدُّنيا ابْتِغاء وجه ربِّه الأعلى.

«فقُتِلَ شهيداً، أنا شهيدٌ على ذٰلك».

قُتِلَ لتكونَ كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب من استعدَّ الكفن. «الفتح» (١٢٧٧).

هي السفلى.

«أنا شهيد على ذلك».

لقد شهِدَ له رسول الله ﷺ بالعبوديَّة الحقَّة.

شهِدَ له (عليه الصلاة والسلام) بالهجرة الصادقة.

شهِدَ له (عليه السلام) بالشَّهادة.

هٰذا من ثمار نقاء القلوب.

هٰذا أكْلُ العمل الطيِّب والجهاد الصادق.

فهيَّا بنا نمضي على طريق سعد... على طريق هٰذا الأعرابيّ... على طريق جيل الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين).

* * *

صدر الإذن بطبع هذا الكتاب من
المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام
برقم ٨٤٠ وتاريخ ١٤١٢/٣/٩ هـ

التنضيد والمونتاج
دار الحسن للنشر والتوزيع
عمان ـ هاتف (٦٤٨٩٧٥) ـ ص.ب (١٨٢٧٤٢)